Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتلو هذه البداية في سطر مستقلّ مضفور بالأقواس، صرخة المرأة: "أواه يا. فرات... أهذه لحظات وداع؟".

وكما تشي هذه البداية، سوف تسلم هذه الرواية قيادها للسارد (ة)، مفسحة بين حين وحين للمونولوج في صرخة أو نجوى أو.. لكأنها بذلك تداري سطوة السارد (ة) في الرواية التقليدية، فتلونها بحضور مباشر للشخصية الروائية. ولأن هذا الحضور يظل نزراً ومتباعداً- سوى في خاتمة الرواية- سنرى سبلاً أخرى إلى تقليم نتوءات السارد (ة)، عبر الحوار بين الشخصيات، أو عبر حمولة السرد من خبايا الشخصيات ومن الحكايات الفرعية ونشاط المخيلة في الوصف أو الأسطرة، مما يخفف من الوطأة المعهودة للتقليدي في الرواية، ويقترب التقليدي بهذا من مآله في الرواية العربية في العقدين الأخيرين، كصنو للتجربة الحداثية، وحيث بات يحيل (نقاء) التقليدية الروائية إلى بدايات ولّت وعهد مضى، وإن كانت أصداؤه لا تزال تضجّ في بعض الأعمال التي غالباً ما تكون أول ما كتب أصحابها.

ومن المفارق هنا أن تكون مية الرحبي قد كتبت أولاً مجموعتها القصصية (امرأة متحررة للعرض) بنزوع حداثي غالب ومتميز، فيما جاءت روايتها الأولى (فرات) ذات نزوع تقليدي غالب ومتميز أيضاً.

***

تستأثر مغادرة فرات لبلدتها بالصفحات الستين الأولى، لتسرد عبر نافذة السيارة -التي رأينا- ما انقضى، ولتقيم عالم دير الزور الذي يولّي ويرمي الفتاة في بيت الزوجية والعاصمة.

هكذا تتدافع وتنتظم في آن ذكريات الطفولة، فنتعرف إلى الأب الحمّال الفقير، والأم التي انبتّ نسبها إلى أبيها شيخ العشيرة، والمشيخة التي انتقلت إلى الأعمام، والشيخة الحلبية التي ستؤازر أم فرات وتعلمّها الكثير.

وممّا وشم نشأة فرات سنرى بخاصة حكايات الجدة عن أصل العشيرة، وحكايات الجان، وموت الجدّة، والخروج إلى بستان الداوود، واختفاء عبد الوهاب ابن القصّاب في العجاج، وغرق الشقيق البكر إبراهيم في النهر، وخروج الأم مع الجارة سمعة ليلاً إلى النهر نشداناً لحمل الجارة، وانتحار هذه عند زواج زوجها ثانية، ورؤية فرات للجنية، والمعلمة الدمشقية سهام، والقراءة في الروايات الغرامية المستعارة من الصديقات، وأصداء الانقلاب العسكري